# الفصل الأول

## تعريف الفلسفة ونشأتها وخصائصها

تعريف الفلسفة لغة "Philosophy" : كلمة يونانية الأصل تتألف من مقطعين فيلو "philo" وتعني الحب او الايثار، وسوفيا "sophia"' وتعنى الحكمة، فالفلسفة هي( حب الحكمة) ، والفيلسوف هو (مُحب الحكمة).

المعنى الاصطلاحي للفلسفة: تعددت تعريفات الفلسفة على ضوء التطور التاريخي لها منذ ظهورها حتى يومنا هذا فمن الصعب ان نجد تعريف جامع مانع، كذلك فهي تعد نتاجا فرديا مع ان المتاخرين اتفقوا على انها علم مبادئ الوجود.

فقد عرفها الفلاسفة "الطبيعيون اليونانيون" الذين غلبت عليهم النظرة الخارجية للطبيعة مثل (طاليس، هيراقليطس..الخ) على : انها البحث عن طبائع الأشياء وحقائق الموجودات.

وعرفها "ارسطو": هي البحث في الوجود بما هو موجود، ذلك لكونها تبحث عن العلل الأولى والمبادئ الأولى بشكل مطلق واسماها عدة مسميات وهي (الحكمة)، (الفلسفة الأولى) (العلم الالهي).

اما "الرواقيون" فقد عرفوها: بانها العلم بأفضل الأشياء والقدرة على الانتفاع بكل وسيلة ممكنة، حيث اتجهت فلسفتهم الى وجهة عملية وأخلاقية.

وعرفها "ديكارت": بانها العلم بالمبادئ الأولى والعلم الكلي الشامل وغايتها تحقيق السعادة للإنسان.

كما عرفها "بيكون": هي علم وليد العقل والقوى العاقلة عند الانسان وهي تقدم تفسيرا ومعنى للكون عن طريق الملاحظة والتجربة وغايتها السيطرة على قوى الطبيعة والتحكم في مواردها لتحقيق سعادة الانسان.

وقد عرفها "كنت": بانها المعرفة النظرية المستمدة من التصورات. اما "هيجل" فقد عرفها بانها المعرفة والبحث في المطلق.

اما اشهر تعريف معاصر للفلسفة تعريف "اوبرفج" الذي رأى الفلسفة: بانها العلم بالعلل والمبادئ.

### اما الفلسفة عند فلاسفة المسلمين

فقد عرفها الكندي : علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان ، واشرف الفلسفة واعلاها مرتبة الفلسفة الأولى(علم الحق الاول) الذي هو علة كل حق وسماها علم الربوبية.

اما تعريف الفارابي ان الفلسفة: هي البحث في الموجودات بما هي موجودة.

وعرفها ابن سينا: هو صناعة نظر يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه للوجود ويستعد للسعادة القصوى بالآخرة بحسب طاقته لتشرف نفسه بذلك وتستكمل وتصير عالما مضاهيا للوجود. وقد عرفها أيضا: بانها الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور التصريف بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية.

اما تعريف ابن رشد: هو النظر في الموجودات من جهة دلالتها على الصانع.

## غاية الفلسفة وخصائصها

يهدف الفيلسوف الى تحقيق غاية عبر مسيرة فكره الفلسفي تتمثل في البحث عن الحقيقة أي حقيقة الأشياء او طبيعة الأشياء لذلك عليه ان يجرد بحثه عن اية غاية اجتماعية او مادية او عاطفية ...الخ.

## مميزات الفيلسوف:

١- ان يبحث عن الأشياء بحثا مجردا.

٢- ان يكون بحثه هذا نظريا شاملا لمظاهر الوجود كلها.

٣- ان يوجد نظاما ما نسقا متماسكا خاصا به ثم يستطيع من خلال هذا النظام ان يفسر لنا مظاهر الوجود.

٤- ان افتقد المفكر خاصية من هذه الخصائص اصبح حكيما وليس فيلسوفاً.

## نشأة الفلسفة

يتفق اغلب الباحثين والمؤرخين على ان نشاتها تعود الى اليونان وتبدأ بالفيلسوف اليوناني "طاليس" في القرن السادس ق.م فهو اول من صاغ وطرح السؤال عن اصل الوجود والاشياء ويرون ان الفكر الفلسفي اليوناني مر بمراحل متتابعة حتى توصل الى تفسير متناسق ومتوازن للإنسان والكون وان توصل اليونان الى اكتشاف ان مسالة اصل الكون ونشاته يحكم حلها بالتفكير يعتبر نقطة تحول في التفكير البشري كان لها اثرها العظيم في تاريخ الفكر فقد ساعدت الانسان على التحرر من سلطان الخرافات والاساطير ويسرت له السيطرة على قوى الطبيعة واخذ الانسان من ذلك الحين ينظر الى العالم من زاوية جديدة ويحاول تفسير اسرار الكون بالملاحظة والتجربة والتفكير والاستدلال ومن الفلاسفة المؤيدون لهذا الرأي (الفارابي، الشهرستاني، ابن خلدون) ومن الفلاسفة الغربيون(ارسطو، وزيلر)

ويذهب مؤرخون آخرين ان رد الفلسفة ونشاتها يعود الى الشرق القديم مثل حضارات مصر والعراق والهند والصين، وان من السذاجة الظن ان الفلسفة هي خلق عبقري واصيل لليونان باعتبار ان التفكير الإنساني حلقاته مترابطة ومتداخلة ومتطورة عبر العصور، ولا يمكن اعتبار

اليونان دون سواهم ارباباً للتفكير الفلسفي فقد أفادوا من تراث الشرق القديم في الفنون والعلوم الطبيعية وهذا ما اعانهم على ان يفرغوا للبحث النظري النزيه المجرد في حقيقة الموجودات. وقد تبنى هذا الراي من الفلاسفة المسلمين(الغزالي، والقفطي) ومن الغربيون (جورج سارتون، اورسيل)

**مباحث الفلسفة :** للفلسفة ثلاث مباحث رئيسية وهي (الوجود، المعرفة، القيم)

١- **الانطولوجيا** "Ontology" : وهي مبحث الوجود فيشمل النظر في طبيعة الوجود على الاطلاق مجردا من كل تعييين او تحديد، وبذلك يترك للعلوم الجزئية البحث في بعض نواحيه فالعلوم الرياضية تبحث في الوجود من حيث هو كم او مقدار اما العلوم الطبيعية تبحث في الوجود من حيث هو جسم متغير، اما البحث في الوجود من حيث هو موجود على الاطلاق فمن شان مبحث الوجود (ما بعد الطبيعة عند القدماء) وبهذا تنصرف العلوم الجزئية الى البحث في ظواهر الوجود ويدخل في مبحث الانطولوجيا البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في طبيعة العالم والنظر فيما اذا كانت الاحداث الكونية تقدم على أساس قانون ثابت او تقع مصادفة او اتفاقا وفيما اذا كانت هذه الاحداث تظهر من تلقاء نفسها ان تصدر عن علل ضرورية تجري وفق قوانين المادة والحركة وفيما اذا كانت هذه الاحداث تهدف الى غايات ام تجري عفوياً من غير قصداً او تدبير، وفيما اذا هناك آله وراء عالم الظواهر المتغير وفي صفات الله وعلاقته بمخلوقاته، وفيما اذا كان الوجود ماديا صرفاً او روحياً خالصاً او مزاجاً منهما...الى غير هذه من ميادين الدراسات التي تدخل في هذا البحث.

٢- **الابتسمولوجيا** "Epistemology" وهو مبحث المعرفة فتستخدم المبحث السابق اذ يراد بها البحث في امكان العلم بالوجود او العجز عن معرفته هل في وسع الانسان ان يدرك الحقائق وان يطمئن الى صدق ادراكه وصحة معلوماته ام ان قدرته على معرفة الأشياء مثار الشك؟ واذا كانت المعرفة البشرية ممكنة وليست موضعا للشك في حدود هذه المعرفة؟ اهي احتمالية ترجيحية ام انها تتجاوز مرتبة الاحتمال الى درجة اليقين؟ ثم ما منابع هذه المعرفة وما ادواتها؟ اهي العقل ام الحس ام الحدس؟ ثم ما طبيعة هذه المعرفة وحقيقتها؟ وكثيرا ما يطلق المؤرخون ما بعد الطبيعة "الميتافيزيقا" على مبحث الوجود والمعرفة وقد كانت الفلسفة عند القدماء أصلا تنصب على مباحث الوجود اما عند الفلاسفة المحدثين فانها في جملتها تبحث الوجود من خلال نظرية المعرفة.

٣- **الاكسيولوجيا** "Axiology" وهو مبحث القيم وهو البحث في المثل العليا او القيم المطلقة وهي الحق والخير والجمال من حيث ذاتها لا باعتبارها وسائل الى تحقيق غايات ويشمل هذا المبحث علم المنطق وعلم الاخلاق وعلم الجمال بمعناها التقليدي(أي من حيث هي علوم معيارية تبحث فيما ينبغي ان يكون وليست علوما وضعية تقصر دراستها على البحث فيما هو كائن).

**فعلم المنطق**: يضع القواعد التي تعصم مراعاتها العقل من الوقوع في الخطأ أي يبحث فيما ينبغي ان يكون عليه التفكير السليم.

**علم الاخلاق**: يضع المثل العليا التي ينبغي ان يسير سلوك الانسان بمقتضاها أي يبحث فيما ينبغي ان تكون عليه تصرفات الانسان.

**علم الجمال**: يضع المستويات التي يقاس بها الشيء الجميل (أي انه يبحث فيما ينبغي عليه الشيء الجميل)

**فلسفة العلوم**: ان هناك من يلحق بالفلسفة دراسات أخرى يجعلها ذيلا او فروعا لها مثل :

١- **فلسفة القانون**: الحقها بعض الباحثين ذيلا للفلسفة، وكانت اول امرها جزءا من فلسفة الاخلاق ثم اعتبرت ذيلا ملحقا بالدراسات الأخلاقية اذ اهتم علماء القانون في القرن التاسع عشر بالبحث في العلاقة التي تربط بين القانون والأخلاق ولكن جمهرة من العلماء قد فصلوا بعد هذا بين فكرة العدالة التي تقررها قوانين الدولة وفكرة الأخلاقية التي يكون الالزام فيها باطنيا يصدر عن الضمير او يمليه العقل فتشمل العدالة في مجموعة من القوانين تفرضها الدولة على مواطنيها .

اما فلسفة القانون فتجهل النظر في الحقائق القانونية الجزئية وتهتم بدراسة المبادئ الأساسية للقوانين الوضعية وتعني بالبحث في المفهومات الكلية التي يستخدمها رجال القانون كمفهوم الفعل والنية والإرادة والقصد والعلية والحري والعدالة والتبعة والعقاب الى جانب انها تضطلع بوضع نظرية عامة في طبيعة القانون ولا تهمل البحث في المناهج التي يصطنعها رجال القانون.

وتعزى الفلسفة الى مونتسكيو(١٧٥٥) الذي اعتبر القانون صدى لطبيعة الاجتماع البشري وليس وليد سلطة دينية او أخلاقية او غير ذلك وقد أوضح في كتابه "روح القوانين" ان الشعوب تختلف في عرفها وتقاليدها ومع هذا كله فان سلوكها يصدر عن قواعد ثابتة تلتزمها طبائع الأشياء.

٢- **فلسفة الدين**: لقد ادخل بعض الباحثون فلسفة الدين في نطاق الفلسفة أيضا وفرقوا بينها وبين علم اللاهوت او الربوبية ويسميه مفكروا الإسلام بعلم (الكرام او التوحيد) فاللاهوت مهمته البحث في عقيدة دينية ومحاولة تأييدها بالحجة والمنطق.

اما فلسفة الأديان فتتخطى علوم اللاهوت الى البحث في المفاهيم الكلية التي تستخدمها هذه العلوم ودراستها دراسة نقدية كمفهوم الله والوحي والمعصية والعبادة، وقد كانت فلسفة الدين جزءا من ما بعد الطبيعة عند القدماء، ثم استقلت عنها وكانت عند بعض اتباعها حربا على الأديان، وعند بعضهم الآخر تاييداً للعقائد الدينية وتدعيما لتعاليمها وظهرت مذاهب فلسفية دينية اشهرها مذهب التألية"Tneism" وهو مذهب الذين يعتقدون في الالوهية فان قالوا بوجود اله واحد كانوا من اتباع مذهب التوحيد وان قالوا بأكثر من اله كانوا من أصحاب مذهب الشرك، وان قالوا بان الله والعالم حقيقة واحدة اذا نظرت اليها من حيث هي معلولة لذاتها فهي المخلوقات كانوا من أصحاب وحدة

الوجود، وان قالوا ان الله حال في مخلوقاته كانوا من أصحاب الحلول، فان اقروا بالله وانكروا الوحي والرسل والكتب المقدسة والغاية الإلهية بحجة ان العقل وحده قادر على معرفة الله كانوا من أصحاب المذهب الطبيعي الإلهي ويسميهم الغزالي بالطبيعيين ، اما منكروا الالوهية في كل صورها فهم من أصحاب مذهب الالحاد ويسميهم الغزالي بالدهريين او الزنادقة وبهذا يتكون مذهب التالية من فروعه التالية: مذهب التوحيد، ومذهب الشرك، ومذهب وحدة الوجود، ومذهب الحلول، ومذهب الطبيعيين الالهيين.

## بين الفلسفة والعلم

ان التفرقة بين مفهوم العلم ومفهوم الفلسفة حديثة العهد؟ وذلك لان العلم لم ينفصل عن الفلسفة الا في القرن الثامن عشر، فقد اختلطت في اذهان القدماء المعرفة التي تستند الى الملاحظة بالمعرفة التي تعتمد على النظر العقلي المجرد.

فلم وضعت مناهج البحث العلمي في القرن السابع عشر امكن التمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية من جهة وبينها وبين الفلسفة من ناحية أخرى عن طريق المنهج الذي تصطنعه كل منها، فإنما المنهج هو الذي يحدد موضوع الدراسة فالقول بان العلم يتميز بمنهجه التجريبي وهذا يعني ان موضوع دراسته ظواهر جزئية محسوسة اذ غير المحسوس لا تتيسر دراسته بمناهج الملاحظة الحسية لذا نقول في التفرقة بين العلم والفلسفة **ان العلم له عدة خصائص أهمها**:

١- انه يعتمد على التجربة والملاحظة.

٢- انه يصنف الظواهر الطبيعية الجزئية في طوائف متمايزة فيختص كل علم بدراسة طائفة واحدة فقط منها، فهنالك طائفة الظواهر التي يدرسها علم الحيوان وطائفة الظواهر التي يدرسها علم النبات.

٣- انه وصفي تقريري لا تفسيري، بمعنى انه يكتفي بالكشف عن العلاقات الثابتة بين الظواهر الطبيعية دون ان يتعداها الى ما وراء من البحث في طبيعتها وادراك جواهر الحكمة من وجودها...الخ.

٤- انه يفرض وجود الأشياء والمدركات العقلية او القضايا الأولية التي تستخدم للدلالة عليها، دون يعبأ بما اذا كانت هذه الأشياء موجودة حقا اما اذا كانت المعاني التي تدل عليها صادقة صحيحة فالفيزيائي مثلا يفرض وجود المادة ويسلم بوجودها من المفاهيم مثل (مبدا الالوهية او قانون عدم التناقض) لا يمكن تقدم علم الفيزياء بدونها.

٥- ان تاريخ العلم ليس جزءا منه فكثير من علماء الطبيعة لا يعرفون شيئا عن تاريخ علم الطبيعة، فهم لا يعرفون اراء افلاطون وارسطو في مسائل هذا العلم فكم من العلماء يجهلون ماضي علومهم.

## خصائص الفلسفة

١- تعتمد الفلسفة على التفكير المجرد والنظر العقلي البحت.

٢- تدرس العالم في كلياته لا في جزئياته ولكل علم من العلوم يختص بفرع واحد فقط من فروع المعرفة ويدرس جانب من جوانب الوجود لا يتعداه، اما الوجود ككل في شموله واتساعه أي الوجود المطلق بغض النظر عن ان يكون هذا الشيء او ذاك انسانا او حيوانا او نباتا او جمادا فليس بين العلوم جميعا علم يتصدى لدراسته، فالعلم الوحيد القادر على استيعاب ذلك كله انما هو الفلسفة.

٣- اذا كان العلم وصفيا تقريريا فالفلسفة تتجاوز التقرير الى التفسير واذا كان العلم بنحصر في بحث الظواهر فان الفلسفة تهتم بما وراء الظواهر فهي تختص بمعرفة حقائق الأشياء وعمق وجودها والغاية منها.

٤- اذا كان العلم يسلم بوجود الأشياء والقضايا الأولية التي عليها ولا يجيز لنفسه ان يمسها ويدخل في اسرارها، فان الفلسفة كاشفة الاستار وداخلة في الاسرار انها لاتسلم بشيء اذا لم يؤديه العقل والبرهان، اما التجربة الحسية فلا نقيم لها كبير الوزن اذ يمكن ان تكون خداعا حسيا، فالعقل اصدق من التجربة والبرهان ادعى للثقة من الواقع المحسوس، ان العلم يكتفي بالملاحظة والتجربة، اما الفلسفة لا تكتفي بالتساؤل عنها بل تساؤلها أيضا عن قيمة المعرفة العلمية نفسها والمبادئ التي تقوم عليها، بل حتى العلم ماهو الا حقيقة واحدة من حقائق كثيرة تعالجها الفلسفة وحتى العقل الذي هو عمدة كل نظر فلسفي والذي هو من الفلسفة بمنزلة الملاحظة والتجربة من العلم لم يسلم من هجوم الفلسفة، وكم من فيلسوف عملاق كفّر العقل وعدل عن غيره.

٥- ان تجاهل الماضي ممكن في العلم متعذر في الفلسفة، فتاريخ العلم غير تاريخ الفلسفة، ان تاريخ العلم هو شيء آخر غير العلم اما تاريخ الفلسفة هو جزء من الفلسفة، وعلى الرغم من الاختلاف الكبير بين الفلسفة والعلم فهناك صلات ووشائج وثيقة تربط بينها فالفلسفة بغير العلم عاجز فكيف تنمو الفلسفة بدون روافد المعرفة المكتبية بالملاحظة الموضوعية والبحث الصادق.

لكن العلم بغير الفلسفة توجهه قليل الرؤية فهو لا يستغني عن الفلسفة تمده بالاسس والمناهج والقدرة على الربط والتعليل والشمول فبدونها يظل العلم اشتاتا متفرقة واوصالا مقطعة لا رباط بينها ولا جامع يجمعها. وهكذا فالعلم يغذي الفلسفة بنتائج اختباراته والفلسفة تمد العلم بالنظرة الكلية الشاملة والمعنى المرشد والتعليل الصحيح، ولا شك ان تساند العلم والفلسفة قد أدى الى تقدم العلم ونضج المذاهب الفلسفية واطراد النمو في الفكر والحضارة.